المبحث الرابع

التناسب في وجوه النداء

النداء: هو طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف نائب مناب (أُنادي) أو (أدعو)[1]. وأدوات النداء ثمانية، منها ما هو لنداء قريب، وهما حرفان: الهمزة، و(أي). وبقية الحروف لنداء البعيد: (يا، آ، أيا، هيا، وا)[2].

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾[3]. موضع النداء ﴿ قَالَ رَبِّ ﴾، لم يتوقف المفسرون عند أسلوب النداء، لكن يمكن القول بأنّ حرف النداء (يا) المحذوف هنا هو لنداء البعيد، وما كان حذفه إلاّ لغرض بلاغي، وهو إحساس سيدنا لوط بشدة قربه من الله، ولاسيما عندما تخلى عنه قومه، فلجأ إلى الله بالدعاء وطلب النصر منه. واختار كلمة (رب) دون غيرها، لِما تحمله من التلطف وطلب الإحسان، كذلك مناسبة السياق الذي هيّأه لاختيار لفظة الرب، والتي تبعث الإحساس بالقرب من الله[4].

وقوله تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[5]. موضع النداء: ﴿ يَٰعِبَادِيَ ﴾، حرف النداء (يا)، هو لنداء البعيد، وقد جاء النداء من الله إلى عباده المؤمنين المفتونين في دينهم، لتنبيههم إلى أمر عظيم قد غفلوا عنه، ولأهمية الأمر جاء النداء للبعيد بالرغم من إنّ الله أقرب إلى عباده من حبل الوريد[6].

---

(١) ينظر: بغية الإيضاح: ٢/٥١.
(٢) ينظر: أثر النظم: ٨٥.
(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٣٠.
(٤) ينظر: أثر النظم: ٨٦.
(٥) سورة العنكبوت، الآية: ٥٦.
(٦) ينظر: علم المعاني: ٢٠١.

المبحث الخامس

التناسب في وجوه التوكيد

تتفاوت أحوال المخاطبين عند توجيه الكلام إليهم، فمنهم من هو خالي الذهن، يقتنع بما تقوله، ومنهم من هو شاكّ متردد يحتاج معه إلى تأكيد كلامك، وفئة ثالثة -وهي المبتكرة- تحتاج منك ترجيح الكلام بأكثر من مؤكد، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[1].

وللتوكيد أدوات عدة، من أشهرها: (إن، ولام الابتداء، وأحرف التنبيه، والقسم، والحروف الزائدة، وقد، وأمّا الشرطية، وضمير الفصل، واسمية الجملة، وتقديم الفاعل المعنوي).

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[2] نجد موضع التوكيد هو ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾، حيث أكد الجملة ببنائها على الاسم (هم)، ثم الإخبار عنها بالفعل مسند إلى ضمير عائد على المبتدأ، فأفاد ذلك تكرار الإسناد، ومن هنا كان التوكيد. وبناء الفعلين (يتركوا- ويفتنون) للمجهول للاستغناء عن ذكر الفاعل، والمعنى: (أحسبوا أن يتركوا خالين من فتون الكافرين)؟ لما قد عرف من مناصبة الناس العداء لمن خالقهم في الدين والمعتقد[3] حيث نجد إنّ موضع التوكيد في الآية ﴿وَلَقَدْ

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٤.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٢.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: م١٠، ٢٠/٢٠٣.

فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ حيث أكدت الجملة بـــ: ١- اللام الدالة على قسم محذوف في ﴿وَلَقَدْ﴾.

٢- حرف تحقيق (قد).

٣- اللام الموطئة للقسم في ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ﴾.

أمّا نون التوكيد فلا تُعدّ من المؤكدات؛ لأنها مؤكدة لفعل، وليست مؤكدة للنسبة (أي: الحكم الذي اشتملت عليه الجملة)[١].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٢] نلاحظ هنا موضع التوكيد جاء في قوله: ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ الآية، أكد الجملة بلام القسم ﴿لَنُكَفِّرَنَّ﴾، أي: لنغفرن ما كانوا عليه من الشرك[٣]، أو بمعنى: «لنغطينها عنهم بالمغفرة بسبب ما عملوا من الصالحات»[٤] ويتكرر أسلوب التوكيد بالقسم في ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾، أي: بأحسن جزاء، أو يجزيهم بأكثر ما عملوا وأحسن[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾[٦] موضع التوكيد في قوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ

---

(١) ينظر: شروح التلخيص (عروس الأفراح): ٢١٩/١.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٧.

(٣) ينظر: نظم الدرر: ٥٣٨/٥.

(٤) فتح القدير: ١٩٣/٤.

(٥) ينظر: المصدر السابق.

(٦) سورة العنكبوت، الآية: ١٣.

أَثْقَالَهُمْ ﴾، ﴿وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾، لما كان إنكارهم للآخرة جليّاً واضحةً ناسب مجيء أسلوب التوكيد بلام القسم الدالة عليه، وتقدير القسم المحذوف: (والله ليحملن أثقالهم كاملة)[1]. ثم كرر أسلوب التوكيد وأدواته في قوله: ﴿لَيُسْـَٔلُنَّ﴾، وذُكر السؤال بعد ذكر الجزاء لما للسؤال على طريق الازدراء والإذلال من الركب في القلب ما ليس للأفعال[2].

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[3] موضع التوكيد في قوله: ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾، ولشدة إنكار الكافرين لوقوع العذاب أكد الجملة بأكثر من أداة، فلام القسم أكدت على حصول ما استبعدوا حدوثه، فجاءت في وقت لا يعلمه إلاّ هو سبحانه، وتقدير القسم: (وبالله ليأتينهم العذاب)[4]، ثم زاد في تأكيد نزول العذاب بهم فجأة بإسناد الفعل (يشعرون) إلى المبتدأ (هم)، وبناء الجملة الفعلية على الضمير (هم) أفاد التوكيد من حيث كون الفعل (يشعرون) أسند مرتين: مرة إلى الضمير (هم) باعتباره مبتدأ، ومرة أخرى إلى واو الجماعة العائدة على الضمير (هم)[5].

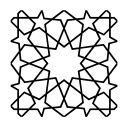

(١) ينظر: تفسير المحرر الوجيز: ٤/٢٥٣.

(٢) ينظر: نظم الدرر: ٥/٥٤٢.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٥٣.

(٤) ينظر: تفسير المحرر الوجيز: ٤/٢٦٤.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: م١٠، ٢١/١٨.